

ضمائر العربية بين الفصحى والعامية دراسة مقارنة

د. شعبان قرني عبد التواب
معهد اللغويات العربية – جامعة الملك سعود

مقدمة:

يعرف الضمير بأنه الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب، ويصنف على أنه اسم جامد، ولكن بعض التصنيفات الحديثة لأقسام الكلام في اللغة العربية تخرجه من قسم الأسماء وتفرد له قسمًا خاصًا به، لأنه لا يدل على معنى كالاسم ولا على موصوف كالصفة ولا على حدث وزمن كالفعل، وإنما تتجه دلالة الضمير إلى المعاني الصرفية العامة، والمعنى الصرفي العام الذي يعبر عنه الضمير هو الدلالة على عموم الحاضر أو الغائب⁽¹⁾.

وهذا التصنيف للضمائر تصنيف دلالي يربط الضمائر بما لها من دور في عملية التخاطب، وبناء عليه تقسم الضمائر إلى قسمين:

القسم الأول: الضمائر التي تدل على الحضور، سواء كان هذا الحضور حضور تكلم (كأنا، نحن) أو حضور خطاب (كأنت وفروعه) أو حضور إشارة (كهذا وفروعه).

القسم الثاني: الضمائر التي تدل على الغيبة، وتشمل الضمائر الشخصية (كما في هو وفروعه) كما تشمل ضمائر الموصول (كما في الذي وفروعه).

(1) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها 108 والنحو الوافي 217/1.

وقد لفتت الضمائر أنظار اللغويين قديماً، وحديثاً، وإن كان علماؤنا القدماء لم ينظروا إلى الضمائر على أنها قسم قائم بذاته، وإنما درسوها ضمن قسم الأسماء، فإن ذلك لا يعنى عدم إدراكهم لما في هذا النوع من الكلمات من خصوصية تميزه عن غيره وتسوغ إفراده بالدراسة، فقد حظيت الضمائر باهتمامهم فاشتغلوا بالبحث في طبيعتها وأصول التي ترجع إليها كما ميزوا بينها من حيث الشكل والمضمون وكذلك أدركوا ما تؤديه الضمائر من وظائف على مستوى التراكيب.

وفي الدراسات اللغوية الحديثة احتلت الضمائر مكانة بارزة فأعيد النظر فيما قاله القدماء بشأن الضمائر وذلك بعد تنحية النظرة الجدلية التعليلية التي انطلقوا منها في دراسة اللغة، والاستعانة بالمناهج التاريخية والوصفية والمقارنة فأدى ذلك إلى نتائج جديدة أوضحت كثيراً مما غمض على القدماء.

أما الدراسات اللغوية المعاصرة وبشكل خاص في اللسانيات النصية فقد احتلت الضمائر بكل أنواعها موقعا متقدما بوصفها عنصرا جوهرياً في تشكيل النص وتفسيره.

وإيماناً منا بما للضمائر من مكانة في اللغة رأينا أن ندرسها على مستوى آخر من مستويات الاستعمال اللغوي لم تحظ فيه الضمائر بالقدر اللائق بها من عناية الدارسين، ذلكم هو المستوى اللهجي، ولصعوبة الإحاطة بهذا الكم الهائل من اللهجات العربية المعاصرة في مثل هذا البحث فقد وقع اختيارنا على لهجة الفيوم بجمهورية مصر العربية.

واختيارنا للمستوى اللهجي ودراسته لا يعنى الدعوة إليه، والتمكين له من أجل إحلاله محل الفصحى وإنما هو خطوة منهجية ضرورية في سبيل التحول إلى الفصحى، والأعمال بالنيات، ومقصودنا في هذا البحث المقارنة بين اللغة واللهجة لرصد أوجه الشبه والاختلاف للاستفادة من ذلك في تعليم الفصحى.

ومن أجل هذا قام الباحث بعمل حصر للضمائر في لهجة الفيوم ثم درسها على مستويين:

المستوي الأول: البنية.

المستوي الثاني: التراكيب.

وقد تمت هذه الدراسة من خلال المقارنة بالفصحى من أجل رصد التغيرات التي حدثت في بنية هذه الضمائر أو استعمالها من قبل أبناء اللهجة بوصفها تحريفات يجب تشخيصها لمعرفة مصدرها والحد من تأثيراتها على تعليم الفصحى. وفي سبيل التأصيل لبعض التغيرات التي حدثت، أو تفسيرها وكشف غموضها، قام البحث بدراسة الضمائر في لهجة الفيوم في إطار اللهجات العربية القديمة وبعض اللغات السامية.

واللجوء إلى اللهجات العربية القديمة في تفسير لهجة عربية حديثة - أقصد لهجة الفيوم - والتأصيل لها أمر طبيعي، فالعلاقة بين اللهجات العربية القديمة واللهجات العربية الحديثة لا تخفى على الباحث في هذا الشأن. أما اللجوء إلى بعض اللغات السامية في هذا الأمر؛ فقد اضطررنا إليه لأن علماء اللغة والرواة عندما جمعوا اللغة من القبائل العربية القديمة قسموها إلى قسمين، سجلوا أحدهما ودرسوه، وتركوا الآخر وأهملوه، ومعظم القبائل العربية التي اشتركت في الفتح الإسلامي لمصر، أو التي جاءت بعد ذلك واستوطنت فيها وانتشرت في أقاليمها المختلفة، وذابت في سكانها وانصهرت معهم في بوتقة واحدة، كانت من هذا القسم الأخير المهمل⁽¹⁾؛ ولهذا وجدنا صعوبات كثيرة في تأصيل كثير من الظواهر اللغوية التي خالفت فيها لهجة الفيوم العربية الفصحى، لأن معظم أصولها العربية القديمة قد انقرضت، وضاعت بذوبان القبائل العربية الوافدة وتحولها عن نظامها القبلي واختلاطها بالسكان الأصليين للبلاد والإقامة في المدن والقرى المفتوحة. وفي ذلك يقول المقرئ: " أعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر وجهلت

(1) انظر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى 163، 164.

أحوال أكثر أعقابهم⁽¹⁾. وقد ترتب على ذلك أننا فقدنا الشواهد التي تعيننا على رد الظواهر اللهجية إلى مصادرها الأولى. وقد وجدنا في المقارنات السامية تفسيراً لبعض هذه الظواهر، ولذلك قمنا بدراسة الضمائر في لهجة الفيوم في إطار هذه المقارنات، ومن هنا كان عنوان البحث الضمائر في لهجة الفيوم، دراسة مقارنة.

وقد جعلت البحث في مقدمة ومبحثين:

المقدمة: تعرف بموضوع البحث ومنهجه.

والمبحث الأول بعنوان: الضمائر في لهجة الفيوم، دراسة في البنية. وقد قمت في هذا المبحث بحصر صيغ الضمائر في لهجة الفيوم وتحليلها ومقارنتها بالفصحى مع الاستعانة باللهجات العربية وبعض اللغات السامية من أجل التأصيل والتفسير.

والمبحث الثاني بعنوان: الضمائر في لهجة الفيوم، دراسة في التركيب. وفي هذا المبحث قمت بدراسة الضمائر في استعمالات اللهجة، ثم قارنتها بنظيراتها في الفصحى بقصد رصد أوجه الشبه والاختلاف بين استعمالات الضمائر على المستوى اللهجي واستعمالاتها على مستوى الفصحى. وكان ذلك من خلال المنطلقات الآتية:

- عرض أنماط التراكيب الشائعة التي تبين المواقع المختلفة للضمائر في لهجة الفيوم.
- التطابق بين الضمير ومرجعه.
- العطف على الضمير.
- توكيد الضمير والتأكيد به.

والمبحث على هذا النحو يصف واقعا لغوياً حياً يعيشه المتعلمون بالفعل وذلك من أجل تشخيصه لمعرفة مقدار البعد بينه وبين المستوى الآخر - مستوى اللغة العربية الفصحى - الذي نعمل على تعليمه.

(2) البيان والإعراب عما بمصر من الأعراب 12 وانظر: علم اللغة العربية 271 وما بعدها.

وفي الختام أرجو من القائمين على تعليم العربية في مجتمع الفيوم أن يفيدوا من هذه الدراسة المقارنة ليتسنى لهم نقل المتعلم من واقعه اللهجي الذي يمثل لغته الأولى إلى اللغة الفصحى التي نريد منه أن يتعلمها ويتعلم من خلالها وربما يعلمها لغيره في المستقبل إن شاء الله.

المبحث الأول: الضمائر في لهجة الفيوم ،دراسة في البنية.

صيغ الضمائر في لهجة الفيوم ومقارنتها بنظائرها في الفصحى:

تنقسم صيغ الضمائر في لهجة الفيوم – شأنها في ذلك شأن اللغة الفصحى – إلى ثلاثة أقسام:

1- ضمائر الرفع المنفصلة.

2- ضمائر الرفع المتصلة

3- ضمائر النصب والجر.

ولكل قسم من هذه الأقسام صيغه الخاصة به، وتعدد هذه الصيغ وتنوع بحسب العدد والنوع والشخص المستعمل له الضمير، وهي في هذا التعدد والتنوع لا تبتعد كثيرا عن اللغة العربية الفصحى، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: ضمائر الرفع المنفصلة:

الصيغ التي نجدها في لهجة الفيوم لهذا النوع من الضمائر تكاد تتفق إلى حد ما مع مثيلتها في اللغة الفصحى، وبيان ذلك على النحو الآتي:

(أ) ضمير المتكلم المفرد:

تتفق اللهجة مع الفصحى في عدم التفرقة في صيغ هذا النوع بين المذكر والمؤنث حيث تستعمل اللهجة واللغة صيغة واحدة مع الجنسين والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول ضمير المتكلم المنفصل توضح ذلك

نوع الضمير	لهجة الفيوم	الفصحى
مفرد بنوعيه	أنا /أني /ana/ʔani	أنا ana ʔ

ويتضح من خلال هذا الجدول أن اللهجة واللغة تتفقان في استخدام الصيغة "أنا" للدلالة على المتكلم في حالة الأفراد بصرف النظر عن جنسه، وبجانب هذه الصيغة "أنا" التي تتفق فيها اللغة وردت صيغة أخرى هي: (أني ani ʔ - أنا ani ʔ) وقد تبين لنا أن هذه الصيغة ليست مستحدثة في اللهجة وإنما هي صيغة سامية قديمة⁽¹⁾ احتفظت بها اللهجة في حين انقرضت من اللغة الفصحى ، ويبدو أن الصيغة الأصلية لهذا الضمير هي "أنا" وهذه الصيغة هي التي احتفظت بها اللغة الفصحى أما الصيغة الثانية "أني" فنشأت من مبالغة المتكلم في تحقيق ذاته ، حيث يمكن تفسير هذه الصيغة على أنها صيغة مركبة من الصيغة الأصلية وهي "أنا" ثم إضافة ياء المتكلم إليها مبالغة من المتكلم في تحقيق وجوده فأصبحت الصيغة أني وربما تُمد فتصير أني "زيادة في تحقيق هذه المبالغة.

وهناك تفسير آخر لوجود هذه الصيغة يفسرها على أنها كانت في البداية خاصة بالمتكلمة قياساً على وجود صيغتين في حالة الخطاب واحدة للمخاطب (أنت) وأخرى للمخاطبة "أنت"، ويؤيد هذا احتفاظ اللهجة الحضرية بهذه الظاهرة، حيث تفرق بين ضمير المتكلم (أنا ana ʔ) وضمير المتكلمة (أني ani ʔ) وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ولعل أفضل تفسير لهذا أن ضمير المتكلمة نشأ بالمقايضة متأثراً بضمير المخاطبة المنفصل anti ʔ"⁽²⁾ وبذلك تكون الصيغة (ani ʔ) صيغة متأخرة عن الصيغة (ana ʔ) نشأت بفعل المقايضة.

(1) وردت هذه الصيغة في العبرية انظر: فقه العربية المقارن 196، وفي نحو اللغات السامية المقارن 103.

(1) فقه اللغة المقارن 197.

وقد تعددت صور هذا الضمير في اللهجات العربية القديمة، ويذكر الأشموني أن هذا الضمير فيه خمس لهجات فصحا هنّ إثبات ألفه وقفًا وحذفها وصلًا، والثانية إثباتها وصلًا ووقفًا وهي لهجة تميم، والثالثة (هنا) بإبدال همزته هاء، والرابعة (آن) بمدة بعد الهمزة والخامسة (أن) كعن⁽¹⁾

وقد اختلف العلماء حول المكوّن الأصلي لهذا الضمير فالبصريون يقررون أن أصل الضمير هو الهمزة والنون، وأن الألف الأخيرة زائدة أتت بها في الوقف لبيان الحركة. ومذهب الكوفيين أن الألف بعد النون من نفس الكلمة⁽²⁾ ويبدو أن البصريين قد بنوا رأيهم على لهجة الحجاز حيث إن الضمير المعتمد للمتكلم المفرد في الحجاز هو (أن) في وصل الكلام، و(أنا) في الوقف، في حين أن لغة تميم هي إثبات الألف وصلًا ووقفًا (أنا) وهذا ما جعل الكوفيين يعدون الألف ضمن البنية الأصلية للكلمة⁽³⁾

2- ضمير المتكلمين:

نوع الضمير	اللهجة	اللغة
جماعة المتكلمين	إحنا ihna ?	نحن nahnu

تستخدم اللهجة "إحنا" ihna للدلالة على المتكلم الذي يكون معه غيره ولا فرق في هذا بين مذكر ومؤنث حيث إن اللهجة في ذلك - شأنها شأن الفصحى - تفتقر إلى ما يدل على النوع، فستخدم الضمير "إحنا" للدلالة على الجنسين.

والملاحظ أنه لا توجد علاقة بين ضمير المتكلم المفرد وضمير المتكلم الجمع من حيث الصيغة ، حيث يختلفان اختلافاً تاماً، فلا يوجد في بنية ضمير الجمع ما يدل على أنه جمع لهذا المفرد فالصيغتان تختلفان اختلافاً تاماً وهذا الاختلاف بين

(2) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية 161.

(3) انظر: الضمائر في اللغة العربي 21، 22.

(4) انظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية 287.

الصيغتين موجود أيضا على مستوى الفصحى، ويقول برحشتراسر: " إن هذا ليس خاصا باللغة العربية وحدها وإنما موجود في كثير من اللغات ويرجع السبب في ذلك إلي أننا " وإن عبرنا عن الصيغتين بالمفرد والجمع ، فالنسبة بينهما ليست في الحقيقة ، نسبة جمع إلي مفرد؛ فالجمع متكون من أفراد متساوية ، أو متشابهة ، نحو: " البيوت " التي كل واحد منها بيت، ولكن المتكلم المجموع ، أي (نحن) ، ليس بمتكون من أفراد متساوية كل واحد منها متكلم مفرد ، أي : (أنا)، ألم تروا أن (نحن) لم تكن عبارة عن (أنا وأنا وأنا) بل عن (أنا وأنت) أو (أنا وأنت وهو) ، إلي آخره .ولهذا السبب اشتق كثير من اللغات ضميرَي المتكلم المفرد والمجموع من مادتين مختلفتين⁽¹⁾.

ونلاحظ أن هناك اختلافاً بين صيغة هذا الضمير في لهجة الفيوم وصيغته في الفصحى حيث إن الضمير في اللهجة يبدأ بالهمزة وينتهي بنون معها فتحة طويلة في حين أنه في الفصحى يبدأ بالنون وينتهي بنون معها ضمة طويلة وبالرجوع إلى صيغة هذا الضمير في اللغات السامية وجدنا أن الجانب الأكبر من هذه اللغات يبدأ فيها الضمير بالهمزة وذلك على النحو الآتي⁽²⁾

الآشورية ? anini – nini

العبرية ? anahnu – ? anu nahnu

الآرامية ? anahna

السريانية ? anahnan -hnan

وبناء على ذلك تعد لهجة الفيوم – شأنها في ذلك شأن كثير من اللهجات المصرية -احتفظت بالهمزة من اللغة السامية الأم لوجودها في معظم اللغات السامية في حين أن اللغة العربية الفصحى أسقطت هذه الهمزة، وتشترك معها في ذلك اللغة

(1) التطور النحوي 77.

(1) انظر: تاريخ اللغات السامية 9، وفقه اللغات السامية 85.

الحبشية حيث وردت صيغة هذا الضمير فيها بدون الهمزة كما نلاحظ أن تخفيف الهمزة يشكل ظاهرة بين اللغات السامية حيث وردت صيغ هذا الضمير بدون همزة في كل من الآشورية والعبرية والسريانية، وذلك بالإضافة إلى الصيغ المصدرة بالهمزة في هذه اللغات.

كما نلاحظ من خلال تأمل صيغ هذا الضمير في اللغة العربية وأخواتها الساميات أن لهجة الفيوم أسقطت النون الأولى من بنية الضمير وهي موجودة في معظم اللغات السامية.

وفرق آخر نلاحظه بين اللغة واللهجة حيث نجد أن صيغة الضمير في الفصحى تنتهي بضممة طويلة، وفي اللهجة تنتهي بفتحة طويلة، وإذا فسرنا الضم الذي تنتهي به الصيغة الفصحى على أنه اختصار لـواو الجماعة فإنه يمكن تفسير الفتح في اللهجة على أنه كان في الأصل للدلالة على مثنى ضمير المتكلم وأن هذه الصيغة كانت موجودة في اللغة السامية للدلالة على المثنى بالإضافة إلى الصيغة الأخرى المنتهية بالضم للدلالة على الجمع، وأن بعض اللغات السامية أشركت المثنى مع الجمع في صيغة واحدة هي الصيغة المنتهية بالضممة الطويلة، في حين أن بعضها الآخر أشرك الجمع مع المثنى في صيغة واحدة هي المنتهية بالفتحة الطويلة، ويؤيد هذا أن نهايات صيغ هذا الضمير في اللغات السامية تتراوح بين الضم والفتح، وهو ما يرجح أن اللغة السامية الأم كانت تشتمل على صيغتين: الأولى تنتهي بالفتح وهي خاصة بالمثنى، والثانية تنتهي بالضم وهي خاصة بالجمع، ثم تلاشت إحدى الصيغتين من اللغات السامية واحتفظت بصيغة واحدة أشركت فيها المثنى مع الجمع، وبعض هذه اللغات احتفظ بالصيغة المنتهية بالضم كما هو الشأن في العربية الفصحى والعبرية، وبعضها الآخر احتفظ بالصيغة المنتهية بالفتح كما هو الشأن في الآرامية وقد سلكت لهجة الفيوم هذا المسلك.

(ب) ضمير المخاطب المنفصل:

نوع الضمير	لهجة الفيوم	الفصحى
المفرد المذكر	انت inta ؟	أنت anta ؟
المفردة المؤنثة	إنتي inti ؟	أنت anti ؟
المثنى بنوعيه	إنتو intu ؟	أنتما antuma ؟
جمع الذكور	إنتو intu ؟	أنتم antum (u) ؟
جمع الإناث	إنتو intu ؟	أنتن antunna ؟

وأول ما بلفت الانتباه خلو اللهجة من ضمير المثنى حيث عوامل المثنى فيها معاملة الجمع، فلم تفرق اللهجة بينهما بعكس الفصحى التي فرقتهما باستعمال الضمير: "أنتما": للدلالة على المثنى.

وكذلك لم تفرق اللهجة بين المذكر والمؤنث في حالة الجمع فاستخدمت الضمير إنتو للجمع بنوعيه في حين أن الفصحى استخدمت الضمير "أنتم" للدلالة على جمع الذكور، والضمير "أنتن" للدلالة على جمع الإناث.

كما نلاحظ أن اللهجة أسقطت ميم الجمع واستبدلت بها الواو ويرى أحد الباحثين أن الضمير "أنتم" يرجع إلى هذه العناصر.

أن+ت+مو و"أن" هي القاعدة الضميرية والتاء هي العنصر الجوهرى وضمها راجع إلى مجاورة "مو" المكيف الضميرى لجماعة الذكور. وقد شاع اختصار الصيغة الأصلية "أنتمو" بحذف الضمة الطويلة وإسكان الميم⁽¹⁾

ونلاحظ أن علامة الجمع "مو" تقاسمتها اللغة واللهجة وأخذت اللغة الجزء الأول (الميم) وحذفت الجزء الثاني (الضمة الطويلة) وأخذت اللهجة الجزء الثاني الضمة الطويلة (الواو) وأسقطت الجزء الأول وهو الميم.

(1) انظر: الضمائر في اللغة العربية 35.

وتنفرد اللهجة بظاهرة عامة في ضمائر الخطاب لا نجد لها نظيراً في الفصحى أو اللغات السامية هذه الظاهرة هي كسر أول هذه الضمائر في اللهجة في حين نجد أولها مفتوحاً في الفصحى واللغات السامية وذلك على النحو الآتي:

نوع الضمير	الحبشية	العبرية	الأرامية	السريانية	الأشورية
مفرد مذكر	? anta	? atta	? anta	? att	? atta
مفردة مؤنثة	? anti	? atti /att	? att	? att	? atti
المخاطبون	? antemmu	? attem	? antun	? atton	? attunu
المخاطبات	? anten	? atten(a)	? anten	? atten	? attina

ويلاحظ من خلال هذا الجدول أن ضمير الخطاب يبدأ في اللغات السامية بالهمزة المفتوحة كما هو الشأن في العربية في حين أن هذا الضمير يبدأ بالهمزة المكسورة في لهجة الفيوم.

كما نلاحظ أن لهجة الفيوم أشبعت حركة تاء الخطاب في ضمير المخاطبة المؤنثة، واللهجة في هذا متأثرة بإحدى اللهجات العربية حيث كانت قبيلة ربيعة تفعل ذلك⁽¹⁾

(ج) ضمير الغائب المنفصل:

نوع الضمير	لهجة الفيوم	الفصحى
مفرد مذكر	هُو huwwa هُو haw	هُو huwa
مفرد مؤنثة	هي hiyya هي hay	هي hiya
المثنى بنوعيه	-	هُمَا humá

(1) انظر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى 166.

جمع المذكر.	همهم humma hum	همهم (u) hum
جمع المؤنث	-	همهم hunna

ونلاحظ من خلال هذا الجدول ما يأتي:

1- أن الضمير الدال على الغياب والإفراد والتذكير في لهجة الفيوم له صيغتان، هاتان الصيغتان تختلفان عن الصيغة الدالة على الغياب والإفراد والتذكير في الفصحى وينحصر هذا الاختلاف في الآتي:

- حركة الهاء في إحدى الصيغتين وهي صيغة هو haw مفتوحة وحركتها في الصيغة الخاصة بالفصحى مضمومة.

- الواو إما مفتوحة مشددة، هو huwwa أو ساكنة هو haw في لهجة الفيوم، وهي في اللغة الفصحى مفتوحة فقط.

2- أن الضمير الدال على الغياب والإفراد والتأنيث في لهجة الفيوم له صيغتان أيضاً، وهاتان الصيغتان تختلفان عن الصيغة الدالة على الغياب والإفراد والتأنيث في الفصحى في الآتي:

- حركة الهاء في إحدى صيغتي اللهجة مفتوحة وهي صيغة هي hay وحركتها في الفصحى مكسورة.

- الياء في اللهجة إما مفتوحة مشددة كما في هي hiyya أو ساكنة مخففة كما في هي hay وهي في اللغة الفصحى مفتوحة مخففة.

3- أن صيغة التثنية في ضمائر الغياب غير موجودة في اللهجة وكذلك لا توجد فيها الصيغة الدالة على جمع الإناث وقد استخدمت اللهجة صيغتين للجمع تعبر بهما عن الجمع بنوعيه وكذلك تعبر بهما عن المثني في حين أن اللغة الفصحى يوجد

فيها لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة صيغته الخاصة به، فهي تدل على المثنى بنوعيه بـ"هما" وعلى جماعة الذكور بـ"هم" وعلى جماعة الإناث بـ"هن" كما يلاحظ أن إحدى الصيغتين المستخدمتين للدلالة على المثنى والجمع بنوعيهما في اللهجة تتفق تماما مع الصيغة التي تقابلها في الفصحى أما الصيغة الثانية فتختلف عنها في أن ميم الجمع في لهجة الفيوم مشددة مفتوحة وهي الفصحى مخففة ساكنة إلا إذا وصل الضمير بكلمة تبدأ بحرف ساكن فعند ذلك تحرك الميم بالضم كما في قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (المنافقون آية 4).

وبمقارنة ما خالف الفصحى من لهجة الفيوم هنا بما ورد في اللهجات العربية وبعض اللغات السامية يتبين الآتي:

أن التشديد الوارد في ضمير الغائبة يعزى في الأصل إلى قبيلة همدان⁽¹⁾ كما قرأ بتشديد الواو الأخفش عن ابن عامر⁽²⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (سورة البقرة الآية 29)

وعلى هذا فإن هذا التشديد في لهجة الفيوم أثر من آثار اللهجات العربية القديمة ظلت بقاياها في لهجة الفيوم.

(ب) أن التشديد الوارد في إحدى الصيغتين الواردتين في لهجة الفيوم للدلالة على جماعة الغياب وهي صيغة humma يمكن أن نرجعه إلى أن هذه الصيغة كانت

(1) انظر مغني اللبيب 75/2، اللهجات العربية في التراث 661/2، 662، ويعلق الدكتور علم الدين الجندي على موقف اللغويين من ذلك بقوله: وعلى الرغم من أنها عزيت لهمدان فقد رأي المحققون أن تشديدها ضرورة شعرية حتى عند همدان، وأرى أن هؤلاء المحققين قد غالوا فيما قالوه لأنه متى نقل عن الأئمة وثقات اللغة أنها لغة لقوم، وهم همدان، فكيف تكون ضرورة عندهم وشتان بين اللغة والضرورة، وأرى أنها إذا وردت لهمدان فهي لهجتهم، وإذا جاءت عند غيرهم في شعر فقد تكون ضرورة أو أن العربي قد يتكلم لغة غيره. اللهجات العربية في التراث 661/2.

(2) قراءة ابن عامر: هو الذي خلق ما في الأرض جميعاً

في البداية خاصة بجماعة الإناث، وأن هذه الصيغة هي نفسها الموجودة في الفصحى لهذه الدلالة ولكن النون المشددة في الفصحى تحولت إلى ميم مشددة في اللهجة، ولما كانت الميم هي المكيف الضميري لجماعة الذكور فقدت هذه الصيغة خصوصيتها فأصبحت تستعمل في اللهجة للجمع بنوعيه.

وقد لاحظنا أن هذا التشديد الوارد في اللهجة له نظير في بعض اللغات السامية حيث يوجد في اللغة العبرية صيغتان للدلالة على جماعة الذكور الأولى hemma وهي مشددة والثانية hem وهي غير مشددة، ويرى barth أن تشديد الميم في hemma يرجع إلى تشبيه الميم بنون henna الخاصة بجماعة الإناث⁽¹⁾.

ثانيا: ضمائر الرفع المتصلة

نسبة الاتفاق بين اللهجة واللغة في هذا النوع من الضمائر أعلى من سابقه والجدول الآتي يوضح ذلك:

ضمائر الرفع المتصلة

نوع الضمير	اللهجة	الفصحى
ضمير المتكلم المفرد	ت t	تُ tu
ضمير المتكلم الجمع	نا na	نا na
ضمير المخاطب المفرد	ت t	ت ta
ضمير المخاطبة المفردة	تي / ti	تي ti
ضمير المخاطب المثنى بنوعيه	--	تما tumā
ضمير المخاطب الجمع المذكر	تو / tum tu	تم tum(u)
ضمير المخاطب الجمع المؤنث	--	تن tunna
ضمير الغائب المفرد		
ضمير الغائبة المفردة	at	it

(1) انظر: فقه العربية المقارن ص 209.

ضمير الغائب المثنى المذكر	-	à l
ضمير الغائب لمثنى المؤنث	-	tà تا
ضمير الغائب لجمع المذكر	u /um وا ء م	u وا
ضمير الغائب لجمع المؤنث	-	na

ومن خلال الجدول السابق يتضح لنا الآتي:

أولاً: ضمائر المتكلم:

(أ) "تاء المتكلم " ضمير المتكلم المرفوع المتصل بالفعل الماضي في كل من اللغة واللهجة هو التاء، وهو صالح للدلالة على المذكر والمؤنث، ويحرك بالضم في اللغة الفصحى، ولهجة الفيوم تسكنه ⁽¹⁾، وذلك على النحو الآتي:

لهجة الفيوم	اللغة الفصحى
t	tu
(ب)"نا"	المتكلمين "na"

تتفق اللغة واللهجة في الصيغة التي تعبر بها كل منهما عن جماعة المتكلمين حيث يتصل الضمير "نا" na بآخر الفعل الماضي للدلالة على المتكلمين المرفوعين وهو صالح فيهما للدلالة على المثنى والجمع، والمذكر والمؤنث.

ثانياً: ضمائر الخطاب

(أ) المخاطب المفرد

الضمير الذي يتصل بالفعل الماضي للدلالة على المفرد المخاطب هو التاء، وذلك في كل من اللغة واللهجة ولكن هذه التاء تحرك بالفتح في الفصحى للدلالة على المفرد المخاطب المذكر، وهي ساكنة في لهجة الفيوم لتؤدي هذه الدلالة نفسها

(1) بعض اللغات السامية تميل إلى إسقاط الحركات القصيرة المتطرفة، إذا لم تكن منبورة أو تطال للمحافظة عليها، انظر: في نحو اللغات السامية المقارن 86.

وكذلك لتدل على المفرد المتكلم بنوعيه. وهنا نلاحظ أنه قد نتج عن إسقاط اللهجة لحركة التاء وجود صيغة واحدة في اللهجة للدلالة على ضمير المتكلم المرفوع المتصل وكذلك للدلالة على المخاطب المرفوع المتصل وهي التاء الساكنة ⁽¹⁾ في حين أن الفصحى تفرق بينهما بتحريك هذه التاء بالضممة في حالة المتكلم وبالفتح في حالة المخاطب.

وفي حالة وصل هذه التاء بضمير آخر نلاحظ أنها تأخذ حركة هذا الضمير ولا فرق في ذلك بين أن تكون هذه التاء للمتكلم أو المخاطب والأمثلة التالية توضح ذلك:

في حالة المتكلم:

شفتو هناك: التاء مضمومة ولكن الضمة هنا ضمير المفعول به
شفتك هناك: التاء مفتوحة ولكن الفتحة هنا هي حركة الكاف في الأصل

في حالة الخطاب:

إنت اللى ضربتو: التاء في هذا المثال هي للمخاطب وهي مضمومة ولكن الضمة ليست حركتها فهي ساكنة وإنما الضمة هي ضمير المفعول.
وهكذا يتبين لنا من خلال الأمثلة السابقة أن اللهجة أسقطت حركة التاء في الوصل والوقف معاً، وإن بدا لنا أنها محركة عند وصلها بالضمائر فإنما هي حركة الضمير المتصل بها.

(ب) ضمير المخاطبة:

الضمير المرفوع الذي يتصل بالفعل الماضي للدلالة على المفردة المخاطبة في كل من اللغة واللهجة التاء المكسورة ولكن تفتقر اللغة عن اللهجة في أن كسرة التاء في

(1) بعض اللغات السامية تعبر عن ضمير المتكلم أو المخاطب بصامت متلو بحركة، وبعضها الآخر – مثل الأوجاريتية والفينيقيّة – تعبر عنه بصامت فقط وبذلك يتضح لنا أن لهجة الفيوم في إسقاطها للحركة القصيرة من ضمير المتكلم المفرد أو المخاطب المفرد تسير في ذلك وفقاً لبعض اللغات السامية انظر: فقه العربية المقارن 222 لمعرفة صيغ ضمائر الرفع في اللغات السامية.

اللغة كسر قصيرة "ti"، وهي في اللهجة كسرة طويلة ti ويذكر بعض الباحثين أن الكسرة الطويلة هي المورفيم الدال على التأنيث في اللغة السامية الأم وإنما غلب القصر على المد في الفصحى وحافظت اللهجة على المد الذي هو الأصل في اللغة السامية الأم⁽¹⁾

(ح) ضمير المخاطب الجمع:

تعد "تاء" هي الأصل في الدلالة على ضمير الخطاب بأحواله المختلفة، وفي حالة الجمع تلحق اللهجة بهذه التاء ضمة طويلة فتصبح "تو" tū وقد تتبع هذه الضمة ميماً، وفي هذه الحالة تحول الضمة الطويلة إلى ضمة قصيرة لتكون الصيغة على النحو الآتي "تم tum" وهذه الصيغة هي المستخدمة في الفصحى ولكنها تستخدم في الفصحى لجمع الذكور فقط، وهي في اللهجة تستخدم للمثنى والجمع بنوعيه ولذلك تفتقر اللهجة عن الفصحى في هذا الضمير في الآتي:

- يتخذ هذا الضمير في اللهجة شكلين هما تو tū أو تم tum بينما نجد له في اللغة الفصحى شكلاً واحداً يتمثل في تاء مضمومة وميم قد تليها ضمة طويلة وقد يستغنى عنها.

- هذا الضمير في اللهجة يصلح للمثنى وللجمع بنوعيه وهو في اللغة الفصحى يستخدم لجمع الذكور فقط، أما المثنى فستخدم له الفصحى تاء مضمومة تليها ميم ثم فتحة طويلة، وأما جمع المؤنث فتستخدم تاء مضمومة ونوناً مضعفة منتهية بالفتح.

(1) انظر: التطور النحوي للغة العربية 78، وفي نحو اللغات السامية 72 وقد جاء في كتاب سيبويه ما نصه: وحدثني الخليل أن ناساً من العرب يقولون: ضربتيه فيلحقون الياء، وهذه لغة قليلة انظر الكتاب 1 / وكذلك روى عن النبي عليه الصلاة والسلام في مخاطبة إمرأه (لو راجعته) بإشباع التاء حتى يتولد منها ياء انظر: اللهجات العربية في التراث 707/2.

وخلو اللهجة من ضمير المثنى ومعاملة الاثنين فيها معاملة الجمع له أصل في اللغات السامية فضمائر المثنى ظاهرة لا يشارك العربية فيها إلا اللغة الأوجاريتية⁽¹⁾ أما سائر اللغات السامية فقد أسقطت هذا النوع من الضمائر من الاستعمال، وبذلك تكون اللهجة نحت نحو اللغات السامية في إسقاط ضمائر التثنية من الاستعمال.

ويذكر أحد الباحثين أن صيغة المخاطب المثنى مشتقة من صيغة الجمع وهو حديث بالنسبة إلى سائر الضمائر ولا يوجد في غير العربية من اللغات السامية⁽²⁾.

أما عن عدم تميز اللهجة بين المذكر والمؤنث في ضمير المخاطب الجمع فربما لوحظ هذا الأمر في أكثر اللغات في أول نشأتها⁽³⁾ ويذكر أحد المستشرقين أنه من المحال أن يكون تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث والتعبير عن هذا التقسيم بالواحد المستعملة في اللغات السامية أصلياً⁽⁴⁾ وعليه فإن عدم تميز اللهجة بين المذكر والمؤنث في بعض الأحيان ليس بمستغرب لأن ذلك يمثل مرحلة لغوية سابقة لم تكن اللهجة فيها خاضعة لقياس التأنيث والتذكير.

ثالثاً: ضمائر الغياب:

لا يوجد في اللهجة أو اللغة ضمير رفع ملفوظ يتصل بالفعل الماضي ليعبر عن المفرد الغائب وإنما يعبر عنه بالعلامة الصفيرية أو كما يقول نحاة العربية يعبر عنه بضمير مستتر يقدر بضمير رفع منفصل وكذلك لا يوجد في اللهجة واللغة ضمير رفع ملفوظ يتصل بالفعل ليعبر به عن المفردة الغائبة وإنما يعبر عنه بعلامة صفيرية

(1) انظر: فقه العربية المقارن 145.

(2) انظر: الفلسفة اللغوية 120.

(3) انظر السابق 116.

(1) التطور النحوي للغة العربية 114.

أيضا ولكن في حالتنا هذه توجد تاء دالة على التأنيث تلحق آخر الفعل في حالة الماضي وتكون في أوله في حالة المضارع وتتفق كل من اللهجة واللغة في ذلك.

وتتفوق اللغة على اللهجة في وجود ضمير رفع متصل في اللغة يعبر عن مثنى المذكر الغائب ومؤنثه وهو الألف الذي يعد علامة التثنية في كل مثنى، أما بالنسبة للهجة فقد أسقطت ضمير المثنى وعاملت الاثنين فيها معاملة الجمع، والأمر نفسه حدث في اللهجة مع ضمير الرفع المتصل الذي يعبر عن جماعة الإناث " na " الموجود في اللغة. حيث أسقطته اللهجة وأحلت محله واو الجماعة الدالة على جماعة الذكور، وهذا النوع من التطور الذي طرأ على اللهجة حدث ما يماثله في بعض اللغات السامية. حيث أهملت اللغة العبرية نون الغائبات مع الماضي وأحلت محلها واو الجماعة.⁽¹⁾ فأصبح ضمير الغائبات " ū " في العبرية وهنا نلاحظ عمل المقايضة في هذا الضمير لتأثره بضمير الغائبين فتتحد صيغتهما حيث تغلبت الضمة الطويلة على الفتحة الطويلة في العبرية قياساً على ضمير الغائبين واستخدمت للدلالة على الغائبين والغائبات⁽²⁾ وكانت دلالتها في الأصل تقتصر على ضمير الغائبين.

أما ضمير الغياب المتصل المرفوع الذي يوجد في اللهجة وله شكل ملفوظ بالفعل فهو ضمير جماعة الذكور، وهذا الضمير في اللهجة يصلح للدلالة على المثنى والجمع بنوعيهما، ويوجد له في اللهجة صيغتان:

الأولى: وā مثل الأولاد أكلوا.

الثانية: um مثل الأولاد أكلهم.

ويفترض أحد الباحثين أن تكون " um " هي الصيغة الأصلية في اللغات السامية ثم سقطت الميم فتحولت الضمة القصيرة إلى ضمة طويلة نتيجة لسقوط الميم.⁽³⁾

(1) انظر: الضمائر في اللغة العربية 52.

(2) انظر فقه العربية المقارن ص227، وفي نحو اللغات السامية المقارن 90، 91.

(3) انظر: في نحو اللغات السامية المقارن 76.

ويرى باحث آخر أن الصيغة الأصلية لهذا الضمير هي الضمة الطويلة "ū" وأن الميم الموجودة في الصيغة الثانية نشأت قياساً على الميم في ضمير الغائبين المنفصلين "هم"⁽¹⁾.

وربما تكون اللهجة في الأصل تمتلك صيغة واحدة هي الضمة الطويلة وقد تكون هي الصيغة الأصلية، أما مجيء الميم في الصيغة الثانية فالواضح أنه لم ينشأ نتيجة للمقايسة وإنما نشأ نتيجة للتطور لأنه من المرجح أن اللهجة كانت تمتلك صيغتين مستقلتين هما: na ū

ويبدو أنها كانت تعبر بالصيغة الأولى عن جماعة الغائبين وبالصيغة الثانية عن جماعة الغائبات ، ثم أصاب الصيغة الثانية شيء من التطور فتغلبت الضمة الطويلة على الفتحة واستخدمت للدلالة على الغائبات بالإضافة إلى دلالتها الأصلية على الغائبين ثم حدث تغليب للميم الخاصة بالذكر على النون الخاصة بالمؤنث فاستخدمت الميم في اللهجة للمؤنث كذلك بالإضافة إلى دلالتها الأصلية على الذكر؛ ثم حدث تقديم للحركة على الصامت في هذه الصيغة، ومن هنا تلاشت الفروق بين التذكير والتأنيث في اللهجة في هذا الجانب مع وجود صيغتين كانت إحداها في الأصل خاصة بجماعة الغائبين، والأخرى خاصة بجماعة الغائبات ولهذا التطور نظير في بعض اللغات السامية حيث انتقلت ميم الذكر في الحبشية إلى المؤنث كذلك⁽²⁾

ثالثاً: ضمائر النصب والجر

في دراسات النحويين لضمائر الفصحى أفردوا قسمًا قائما بذاته لهذا النوع من الضمائر أطلقوا عليه ضمائر: النصب والجر، وهي عندهم متصلة ومنفصلة وفي الجداول الآتي بيان بهذه الضمائر في لهجة الفيوم وما يناظرها في الفصحى.

(4) انظر: فقه العربية المقارن 227.

(1) انظر: فقه اللغات السامية 86.

نوع الضمير	اللهجة	الفصحى
المتكلم المفرد	ي n i / i	ni /i/ iya
المتكلمون	نا na	na نا
المخاطب	كَ ak	ka كَ

المخاطبة	كِ ik كِي ki	كِ ki
المخاطب المثنى	-	k u m a كما
المخاطبون	كُم ، كُو k u m / k ū	كُم (u) k u m
المخاطبات	-	كُن k u n n a
الغائب	ه ه / و u	ه hu
الغائبة	ها ha	ها ha
الغائب المثنى	-	هما h u m a
الغائبون	هم h u m	هم h u m (u)
الغائبات	-	هن h u n n a

وبمقابلة ضمائر النصب والجر في اللهجة بضمائر النصب والجر في اللغة كما هو موضح في الجدول السابق – يتبين الآتي:

- أن أبنية ضمائر النصب والجر في لهجة الفيوم تتفق تماماً مع أبنية ضمائر النصب والجر في الفصحى باستثناء بعض الفروق التي جاءت نتيجة لإسقاط اللهجة لظاهرة الإعراب، وهذه الفروق هي:

- في ضمير المخاطب المفرد ونتيجة لتسكين اللهجة لأواخر الكلمات صارت كاف الخطاب ساكنة ونقلت حركتها – وهي الفتحة – إلى ما قبلها وهي في الفصحى مفتوحة وليست ساكنة.

في ضمير المخاطبة وجدنا له استعمالين

الأول: تسكن الكاف وتنقل حركتها وهي الكسرة إلى ما قبلها وهي في الفصحى محركة بالكسر.

الثاني: تبقى الكاف محركة كما هي الفصحى ولكن تتحول حركتها من كسرة قصيرة في الفصحى إلى كسرة طويلة في اللهجة وذلك عند بعض سكان مدن الفيوم⁽¹⁾، وهذا الاستعمال جاء موافقاً لأصل هذا الضمير في اللغة السامية الأم حيث ذكرت بعض كتب المقارنات أن الصيغة الأساسية لهذا الضمير في اللغة السامية الأم محركة بالكسرة الطويلة⁽²⁾ وهذا الاستعمال ورد في السريانية والآرامية⁽³⁾.

- أسقطت اللهجة، كما حدث مع ضمائر الرفع، ضمائر النصب والجر الخاصة بالمتنى وكذلك ضمير جماعة الإناث، واستغنت عن ذلك بضمير جماعة الذكور فاستعملته للمثنى والجمع بنوعيهما.

- في ضمير المخاطبين وجدنا له استعمالين:

الأول: كم Kum وهو يتمثل تماماً مع نظيره الموجود في الفصحى.

الثاني: كو Kū بإسقاط الميم الدالة على العدد واكتفت اللهجة بالضمة الطويلة مورفيماً واحداً تعبر به عن العدد والجنس معاً وهذا النوع من الاستعمال يشيع عند بعض سكان المدينة في الفيوم ومن يحذون حذوهم في بعض المناطق الأخرى في الفيوم.

(1) هذا الاستعمال له أصل في اللهجات العربية حيث ورد أن بعض قبائل ربيعة كانت تميل إلى إشباع الكسرة في ضمير المخاطب حتى يتولد منها ياء إذ كانوا ينطقون رأيتك رأيتكي ومن التوافق العجيب أن من المرجح أن الذين كانوا ينطقون بذلك من ربيعة هم الحضر، انظر اللهجات العربية في التراث 2/ 708 وهذا الأمر نفسه نجده عند حضر الفيوم.

(2) انظر: في نحو اللغات السامية المقارن 95.

(3) انظر الفلسفة اللغوية، 115. وفقه العربية المقارن 215.

- في ضمير الغائب وجدنا له شكلين^(*)

الأول: هاء ساكنة وذلك إذا كانت الكلمة التي يتصل بها الضمير تنتهي بالألف،
مثل:

دعا ← دعاه

الثاني: "ت" بإسقاط الهاء وإحلال حركتها محلها ولهذا الاستعمال نظير في بعض اللغات السامية وهي اللغة العبرية حيث أسقطت الهاء ثم حولت الضمة الصريحة إلى ممالاة وعبرت بها عن ضمير المفرد الغائب مثل SiFro⁽¹⁾

ومن الأمثلة على هذا الاستعمال في لهجة الفيوم ما يأتي:

كتاب ← كتابو = كتابه في الفصحى

ضرب ← ضربو = ضربه في الفصحى

بقي أن نقول إن نحاة العربية عند حديثهم عن ضمائر النصب الجرقسموها إلى متصلة، وهي التي ذكرناها في الجدول السابق، ومنفصلة وذكروا لها إياك وفروعها ونلاحظ أن هذا النوع من الضمائر قد فقدته لهجة الفيوم وإن كانت اللفظة "إياك" مازالت مستعملة في اللهجة ولكنها فقدت معنى الضمير وخرجت عنه لتفيد معاني أخرى مثل:

الترجي: إياك يحصل - قلت له كلمة إياك تفيد.

التحذير: إياك تمشى مع فلان - إياك تتأخر.

المعية: وياك = معك.

العهد: قابلت صاحبك إياه.

(*) ورد ضمير الغائب هاء ساكنة في تراث العربية ولكنه قليل كما قرأ به عاصم في قوله تعالى:

"نوله ما تولى" النساء 15 وأرجه وأخاه" الأعراف 111

(1) في نحو اللغات السامية المقارن 96.

وبعد هذا العرض لأبنية الضمائر في لهجة الفيوم مقارنة لها بأبنية الضمائر في الفصحى، وعلى هدى من اللهجات العربية وبعض اللغات السامية يتبين لنا أن وجوه الاتفاق بين اللهجة واللغة في هذا الجانب أكبر بكثير من وجوه الاختلاف، وقد ثبت من خلال الدراسة أن الاختلاف الواقع هنا إنما تسلل إلى اللهجة عبر أحد - مسربين أو أنهما معًا أسهما فيه، وهذان المسربان - كما تبين من العرض السابق - قد تمثلتا في:

- تأثير اللهجات العربية القديمة.
- تأثير بعض اللغات السامية.

وقد بينّا فيما سبق الوجوه التي خالفت فيها اللهجة اللغة وأمكن ردها إلى أحد هذين المؤثرين، أو إليهما معًا.

والآن ننتقل إلى الشق الثاني من البحث، وهو دراسة الضمائر في لهجة الفيوم على المستوى التركيبي، وسيكون بعنوان: الضمائر في لهجة الفيوم، دراسة في التراكيب.

المبحث الثاني: الضمائر في لهجة الفيوم دراسة في التراكيب

بعد أن بحثنا أبنية الضمائر في لهجة الفيوم مقارنة بالفصحى وبعض اللهجات العربية القديمة واللغات السامية، نأتي الآن إلى الجانب الآخر من الدراسة، وهو دراسة الضمائر في لهجة الفيوم على مستوى التراكيب، وستتخذ الدراسة في هذا الجانب المنطلقات الآتية:

- عرض أنماط التراكيب الشائعة التي تبين المواقع المختلفة للضمائر في لهجة الفيوم.
- التطابق بين الضمير ومرجعه.
- العطف على الضمير.
- توكيد الضمير والتأكيد به.

أولاً: أنماط تراكيب الضمائر.

تمتاز التراكيب في لهجة الفيوم بأنها ممتدة ومتفرعة تتداخل فيها أنماط الجمل المختلفة وقد استعملت الضمائر في لهجة الفيوم في مواقع مختلفة، والأنماط الآتية توضح ذلك.

النمط الأول: الجملة الاسمية

(أ) المبتدأ (ضمير) + الخبر (نكرة):

إحنا أحاً بالحتة دي منهم.

أنا واحد، وهمّه كثير.

إنت راجل حاً.

(ب) المبتدأ ضمير والخبر معرفة:

إحنا المغلوبين في الموضوع ده.

إنت الكبير.

همه الخسرانين.

(ج) المبتدأ ضمير والخبر جملة فعلية:

أنا أعبي، وانت تشيل.

أنا أمسك وانت تشد.

أنا افتح الشكاره وانت تعبي فيها.

(د) المبتدأ ضمير والخبر شبه جملة:

إنت معانا ولا معاهم.

هوه في البيت.

أنا عند كلامي.

النمط الثاني: الجملة الاسمية المنسوخة:

(أ) جملة كان:

كان راجل طيب.

كنت يومها في عز شبابي.

زمان كنت أمشي كثير أوى، وما اتعبش

(ب) جملة إن"

تحسب إنها ناصحه.

أما انكم جماعة عبايط.

ده بس علشان انكم زعلتوه.

النمط الثالث: الجملة الفعلية:

(أ) فعل + فاعل (ضمير):

روحوا كلوا.

(ب) فعل + فاعل ضمير +مفعول

صرفوا الكيماوي.

(ج) فعل + مفعول (ضمير)+فاعل

جاني واحد يعز علىّ انخرجت منو

ثانيا: المطابقة بين الضمير ومرجعه:

مطابقة الضمير لمرجعه في اللغة الفصحى له حالات منها ما هو واجب ومنها ما هو جائز، ومعظم هذه الحالات قياسية قننها النحاة⁽¹⁾ وعند دراسة مطابقة الضمير لمرجعه على مستوى لهجة الفيوم وحدنا هناك تشابهاً كبيراً بينها وبين الفصحى في هذا الجانب، كما لاحظنا أن معظم الحالات التي خالفت فيها لهجة الفيوم اللغة

(1) انظر: النحو الوافي 262/1 وما بعدها.

الفصحى في ذلك جاءت نتيجة لإسقاط اللهجة لبعض الضمائر والاستغناء ببعضها الآخر عنها وتفصيل ذلك فيما يأتي:

1-إذا كان مرجع الضمير مفردًا مذكرًا أو مؤنثًا وجب أن يكون الضمير مطابقا له في ذلك مثل:

- الواد نام، أي هو.
- البتّ نامت، أي هي.

واللهجة في ذلك تتفق مع الفصحى حيث إن مرجع الضمير في الفصحى إذا كان مفردًا مذكرًا أو مؤنثًا وجب - في الرأي الأصح أن يكون ضمير الغائب مطابقا له في ذلك⁽¹⁾

(2) إن كان مرجع الضمير جمع مذكر سالم جاز أن يكون ضميره واو جماعة مثل قولهم: الطيبين ماتوا.

وجاز أن يكون ضميره المفردة المؤنثة مثل قولهم:
الشحاتين كترت اليومين دول.

واللهجة في ذلك تخالف الفصحى حيث إن المرجع إن كان لجمع مذكر سالم وجب أن يكون ضميره واو جماعة في الفصحى.⁽²⁾

(3) إن كان مرجع الضمير جمع مؤنث سالم يدل على مالا يعقل فالمتبع في اللهجة أن يكون ضميره مفردًا مؤنثًا، مثل: الرايات اترفعت على بيت الحج، أي: اترفعت هي واللهجة تتفق مع في الفصحى في ذلك ولكن الفصحى تضيف إليه جواز أن يكون ضميره جمعًا مؤنثًا فنقول في المثال السابق عندما نحوله إلى الفصحى.
- الرايات اترفعت، أو الرايات ارتفعن.

(1) انظر النحو الوافي 1/ 263.

(2) السابق.

فمجيء أحد الضميرين في الفصحى يفي بالغرض ولكن أحدهما - وهو ضمير مفرد المؤنث - أفضل من الآخر⁽¹⁾

(4) إن كان المرجع جمع مؤنث للعاقل فالمتبع في اللهجة جواز أن يكون ضميره مفرداً مؤنثاً، أو جمعاً مذكراً، ومن الأمثلة التي وردت في كلامهم قولهم:
- البنات راحوا الغيط الضمير جمع مذكر.
الستات راحت تعزى، الضمير مفرد مؤنث. وكذلك جمع التكسير للمؤنث، مثل قولهم:

- الغوازي رجعوا تاني، الضمير جمع مذكر.
- الغوازي جات، الضمير مفرد مؤنث.

وتتفق الفصحى مع اللهجة في جواز كون الضمير مفرداً مؤنثاً وتفتقر عنها في جواز كون الضمير نون النسوة الدالة علي جمع الإناث، وهذا الفرق يرجع إلى أن اللهجة أسقطت ضمير جمع الإناث واستعملت ضمير جمع المذكر للجمع بنوعيه.
(5) إن كان المرجع جمع تكسير مذكر عاقل جاز أن يكون ضميره واو جماعة، أو أن يكون مفرداً مؤنثاً مثل قولهم:

- الرجال مشوا، الضمير جمع.
- الحرامية خشت عليه بالليل، الضمير مفرد مؤنث.
- الحرامية طلّعو عليه وخدوا اللي معاه، الضمير جمع.
- واللهجة في ذلك تتفق تماماً مع اللغة الفصحى.

فإن كان مفرده مذكراً غير عاقل وجب في اللهجة أن يكون الضمير مفرداً مؤنثاً مثل قولهم:

- الشهور عدّت على طول.
- الشوارع ترش فيها الملح ما ينزل.

أما في الفصحى فإنه يجوز في الضمير هنا أن يكون مفرداً مؤنثاً وأن يكون "نون النسوة" الدالة على جمع الإناث نحو: الكتب نفعت " أو: نفعن⁽¹⁾

(6) إن كان المرجع اسم جنس جميعاً وجب في اللهجة أن يكون الضمير مفرداً مذكراً مثل قولهم:

- السجرزهر.
- النخل طلع.
- النمل كثر عندنا.

واللهجة في ذلك تخالف الفصحى حيث إن الفصحى في هذا الموضع تجيز أن يكون الضمير مفرداً مذكراً أو مؤنثاً، نحو قوله تعالى: **أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** (سورة القمر الآية 20)، أي هو، وقوله تعالى: **﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾** (الحاقة: من الآية 7) أي هي:⁽²⁾

ثالثاً: تأكيد الضمير والتأكيد به:

تأكيد الضمير والتأكيد به من استعمالاته المعروفة في الفصحى، فيؤكد الضمير توكيداً معنوياً ولفظياً، ويؤكد به توكيداً لفظياً، ويشغل الضمير هذه المواقع بشروط معينة تختلف باختلاف نوعه من حيث الاتصال والانفصال وكذلك من حيث موقعة الإعرابي مرفوعاً أو منصوباً، أو مجروراً، وقد فصل نحاة العربية الحديث في ذلك.

ومن الوظائف التي يستعمل فيها الضمير في تراكيب لهجة الفيوم أنه يستعمل مؤكداً أو توكيداً، وقد لاحظنا من خلال استعمالات أهل الفيوم الوجه الآتية:

أ- التوكيد المعنوي للضمير:

1-توكيد الضمير المتصل المرفوع:

(1) السابق 265/1

(1) انظر النحو الوافي 1/ 265.

عند توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس أو العين يجب ذكر ضمير منفصل مرفوع بينه وبين اللفظ الذي سيؤكد به ونأتي بلفظ التوكيد مضافاً إليه ضمير آخر مطابقاً للمؤكد، مثال ذلك قولهم:

- رحى أنا نفسي لو.

ويغلب في اللهجة أن تزداد الباء قبل لفظي التوكيد المعنوي (نفس، وعين) مثل:

- رحى أنت بنفسك لو لحد البيت.

أما عند توكيده بلفظ كل فلا يجب ذكر الضمير المنفصل ومن ذلك قولهم:

- راحوا كلهم ما حدى اتأخر منهم.

2-توكيد الضمير المرفوع المستتر:

يعامل الضمير المستتر معاملة الضمير المتصل المرفوع عند توكيده، فلا يؤكد بالنفس والعين إلا بعد ذكر ضميره المنفصل المرفوع ومن ذلك قولهم:

- روح إنت نفسك كلمو.

وقد تزداد الباء هنا أيضاً ومن ذلك قولهم:

- جرب إنت بنفسك وانت تعرف

3-توكيد الضمير المنفصل المرفوع:

يعامل الضمير المنفصل عند تأكيده معنوياً معاملة الأسماء الظاهرة، فلا يحتاج إلى فاصل، نحو:

- إنت نفسك ما تعملهاش.

- هوّه نفسه راح وشاف.

وقد تزداد الباء، كما في المثال الآتي:

- هوه بعينه، ما يخلفش عتو حاجة

ونلاحظ أن سلوك اللهجة في توكيد الضمير المرفوع بنوعيه المتصل والمنفصل، يتفق اتفاقاً تاماً مع سلوك الفصحى في ذلك حيث إن توكيد الضمير المتصل المرفوع

(البارز أو المستتر) توكيداً معنوياً بالنفس أو العين في الفصحى لا يجوز إلا بعد تأكيده بضمير منفصل؛ فنقول:

قوموا أنتم أنفسكم أو أعينكم، ولا نقول: قوموا أنفسكم فإذا أكدته بغير النفس والعين لم يلزم ذلك؛ نقول:

- قوموا كلكم. أو قوموا أنتم كلكم⁽¹⁾

4-توكيد الضمير المتصل المنصوب والمجرور:

يختلف توكيد الضمير المتصل المنصوب والمجرور عند توكيده عن الضمير المتصل المرفوع، فعلى حين أن الأخير كما سبق أن بينا لا يجوز توكيده، بالنفس أو العين إلا بعد تأكيده بضمير منفصل نجد أن الأول – الضمير المتصل المنصوب والمجرور – يجوز تأكيده بالنفس والعين دون حاجة إلى ذكر الضمير المنفصل وقد ورد في اللهجة بالأمرين، مثل قولهم:

- أنا شفتك بنفسك رايح هناك دون ذكر الضمير المنفصل.
- أنا شفتك إنت نفسك بتعمل كده، بذكر الضمير المنفصل.
- أنا رحيت لك نفسك لحد البيت، حيث أكد الضمير المجرور دون ذكر المنفصل.
- إنت عملت له هوه نفسه كثير، حيث أكد الضمير المجرور بعدما ذكر الضمير المنفصل أولاً.

وبذلك يتبين لنا أن تأكيد الضمير المتصل المنصوب والمجرور في اللهجة له شكلان:

الأول: تأكيده دون حاجة إلى ذكر الضمير المنفصل.

الثاني: استعمال الضمير المرفوع المنفصل بعده ثم توكيده بعد ذلك، وكذلك الأمر عند التوكيد بكل، حيث جاء في كلامهم هذه الأمثلة:

(1) انظر: شرح ابن عقيل 213/3.

شافهم كلهم رايعين معاه، حيث أكد الضمير المنصوب دون ذكر المنفصل.
سألنكم انتو كلكم عليه، حيث أكد الضمير المنصوب بعد ما ذكر الضمير
المنفصل المرفوع أولاً.

- سلم عليهم كلهم.
- رحت لكم إنتو كلكم.

ونلاحظ أن اللهجة تتفق أيضاً مع الفصحى في تأكيد الضمير المنصوب والمجرور
حيث يعد الفصل بالضمير المنفصل المرفوع عند تأكيد الضمير المنصوب والمجرور
جائزاً وليس واجباً في كل منهما، يستوي في ذلك التوكيد بالنفس والعين، أو التوكيد
بغيرهما.

(ب) التأكيد بالضمير (التوكيد اللفظي):

يجوز في اللغة التأكيد بالضمير ولكنه لا يؤكد بالضمير إلا الضمير، ولذلك يعد
التوكيد بالضمير من التوكيد اللفظي، والضمير الذي يصلح للتأكيد به هو الضمير
المنفصل المرفوع حيث يصلح لتأكيد الضمائر جميعاً، متصلة أو منفصلة، سواء
أكانت مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة، وهذه بعض الأمثلة التي وردت في لجهة
الفيوم:

- مشيتوا إنتو المشوار ده
السنة اللي فاتت.
- جيت انت وشفت اللي عمله.
- كل انت واشرب والبس
وعيش حياتك.
- هوه هوه الشخص ده
معروف بكده.
- بيفرحك انت الكلام ده.
- رحت لك انت البيت مرتين.

ونلاحظ أن لهجة الفيوم تتفق تمامًا مع الفصحى في التأكيد بالضمير حيث تستخدم الفصحى ضمير الرفع المنفصل لتأكيد الضمائر جميعها تأكيدًا لفظيًا، غير أن الفصحى تشتمل على طريقة أخرى لتأكيد المتصل، وهي جواز توكيده بضمير يماثله في اللفظ والمعني معاً، وفي الاتصال بشرط اتصال المؤكد بما اتصل به المؤكد نحو مررت بك بك، ورغبت فيه فيه، وانساب حولي صوت ساحر فجعلت جعلت أسمعه أسمعه وأصغى إليه إليه⁽¹⁾ ولم أعر عند أهل الفيوم على مثل هذا الاستعمال في كلامهم إلا في مواقف قليلة، وقد لاحظت أن الضمير المتصل في هذه المواقف يذكر دائماً مع ما اتصل به ثلاث مرات ، ومن أمثلة ذلك عندهم:

- رحت لو، رحت لو، رحت لو.

- شفته شفته شفته.

وغالباً ما يكون المقصود بهذا الاستعمال في هذا السياق إسكات الآخر، والتخلص من الموقف بأي شكل.

رابعاً: العطف على الضمير

من أحكام العطف في الفصحى أنه يجوز العطف على الضمير المنفصل مرفوعاً أو منصوباً بلا شرط، وكذلك الضمير المتصل المنصوب فالمنفصل المرفوع مثل: أنا وأنت قائمان، والمنفصل المنصوب مثل إياك والأسد، والمتصل المنصوب نحو قوله تعالى: «جمعناكم والأولين» ولا يحسن العطف على الضمير المرفوع المتصل، بارزاً كان أو مستتراً إلا بعد توكيده أو بعد وجود فاصل بين المعطوف عليه والمعطوف فالتوكيد نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الانبيا:54) والفاصل مثل قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾

فمن صلح معطوف على الواو في يدخلونها والفاصل بينها الهاء والضمير المرفوع المستتر في ذلك كالماتصل المرفوع، ومنه قوله تعالى: (اسكن أنت وزوجك الجنة)

(1) انظر شرح ابن عقيل 3 / 215 والنحو الوافي 3 / 530.

"فزوج" معطوف على الضمير المستتر في "اسكن " وصح ذلك للفصل بالضمير المنفصل ، وهو أنت⁽¹⁾

وأما الضمير المجرور فالأكثر أن لا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له، نحو قوله تعالى ﴿ فقال لها وللأرض ﴾ وهذا مذهب جمهور النحاة⁽²⁾ وقد لاحظنا أن لهجة الفيوم تحافظ على معظم هذه القواعد في العطف على الضمير وقد رصدنا من أنماط العطف على الضمير في لهجة الفيوم ما يأتي

(أ) العطف على الضمير المنفصل المرفوع: إنت وابن عمك تروحوا الجمعية الزراعية بكرة.

(ب) العطف على الضمير المتصل المرفوع: رحت أنا وعبد الله الغيط.

(ج) العطف على الضمير المرفوع المستتر: كلّ هوه واخوه ومشوا.

(د) العطف على الضمير المتصل المنصوب:

تخالف اللهجة اللغة الفصحى في العطف على الضمير المنصوب فعلي حين نجد الفصحى تجيز العطف على هذا النوع دون حاجة إلى التوكيد بضمير الرفع المنفصل، أو الفصل بفصل، نجد اللهجة تسلك مع هذا النوع أحد مسلكين الأول: إما أن تعامله كمعاملة الضمير المرفوع، فتؤكد قبل العطف عليه، والآخر: أنها تعامله كمعاملة الفصحى للضمير المجرور عند العطف عليه، أي أنها عند العطف عليه تعيد ذكر ما اتصل به مع المعطوف ومن أمثلة المسلك الأول قولهم: شفتك انت ومحمد رايحين هناك، ومن أمثلة المسلك الثاني قولهم: شافه هناك، وشاف محمد معاه.

(1) انظر شرح ابن عقيل 3 / 238.

(2) شرح التصريح 2 / 151، وابن عقيل 3 / 239.

وبذلك نجد أن مسلك اللهجة في العطف على الضمير المتصل المنصوب يشترط توكيده أو تكرار ما اتصل به، والأمر في الفصحى على خلاف ذلك إذا نجد العطف على الضمير المتصل المنصوب بلا شرط.

(هـ) العطف على الضمير المجرور

تعامل اللهجة الضمير المجرور عند العطف عليه كما تعامل الضمير المنصوب، حيث يوجد في اللهجة استعمالان، الأول: تتفق فيه اللهجة مع الفصحى، فلا تعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارله، نحو: شفتها إمبارح في الفرح وسلمت عليها وعلى جوزها.

الثاني: يكون العطف فيه على الضمير المجرور بعد توكيده بضمير الرفع المنفصل، واللهجة في هذا الاستعمال تعامل الضمير المجرور كما تعامل الفصحى الضمير المتصل المرفوع، ومن الأمثلة التي وردت على ألسنة بعض المتحدثين باللهجة قولهم:

- أنا سلمت عليك انت وعليه ومحدث منكم رد السلام.

وبعد هذه الدراسة للضمائر في لهجة الفيوم على المستويين: الصرفي والنحوي يتبين لنا التقارب الكبير بين اللهجة والفصحى في معاملة الضمائر على هذين المستويين ، وقد وجدنا هذا التقارب يصل في أحيان كثيرة إلى درجة الاتفاق التام بين الفصحى ولهجة الفيوم في معاملة الضمائر على المستويين المشار إليهما، وهذا يؤكد أن اللهجة ما هي إلا صورة محرفة من الفصحى، وإذا استطعنا حصر وجوه التحريف هذه ووضعناها في عين الاعتبار عند تعليم الطفل اللغة الفصحى، وإرادة نقله من واقعة اللهجي الذي يعيشه بالفعل إلى واقع الفصحى الذي نعمل جميعاً على تعليمه إياه، ونقله إليه، أقول إذا استطعنا تشخيص هذا الواقع اللهجي لنعرف مقدار البعد بينه وبين المستوى الآخر المستهدف، تيسر لنا نقل المتعلم في سهولة ويسر إلى ذلك الواقع الجديد مستوى اللغة العربية الفصحى، خاصة إذا استفدنا من معطيات الدراسات المقارنة في العملية التعليمية.

مصادر البحث ومراجعته

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، المقرئزي، تحقيق وتأليف د/ عبد المجيد عابدين، عالم الكتب - القاهرة، 1961م.
- تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى د/ أحمد مختار، عالم الكتب - القاهرة، 1992م
- التطور النحوي برجشتراسر، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، الرياض، 1982م.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، دار التراث بالقاهرة ط20، 1980.
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية.
- الضمائر في اللغة العربية د. محمد عبد الله جبر، دار المعارف القاهرة 1980.
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك ترجمة د/ رمضان عبد التواب الخانجي 1980م.
- علم اللغة العربية، د/ محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة.
- فقه العربية المقارن د. رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين بيروت 1999.
- فقه اللغات السامية. كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، 1977م.
- الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، 1969م.
- في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية ط3، 1965م.
- في نحو اللغات السامية د. صلاح الدين حسنين صالح.
- اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م.
- اللهجات العربية بحوث ودراسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة 2004م.
- اللهجات العربية الفصحى والعامية مجمع اللغة العربية بالقاهرة 2006م.
- اللهجات العربية في التراث د/ أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس 1978م.
- اللهجات العربية في غرب الجزيرة العربية، راين ترجمة د/ عبد الكريم مجاهد بيروت 2002م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- مغنى اللبيب ابن هشام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. د.ت.
- من أصول اللهجات العربية في غرب السودان، د. عبد المجيد عابدين دار المعرفة الجامعية 1989م.

- مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان، دار الثقافة - المغرب.
- منهج في التطور اللغوي في ضوء علم اللغة التاريخي، د. كمال بشر، دار الثقافة العربية 1986م.
- النحو الوافي عباس حسن دار المعارف ط8، 1986م.